ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Civilizational and Economic Aspects of the Hajjaj Bin Yusuf Al-Thaqafi's in Ruling Iraq (75-95 / 695-714)

D. Mohammed Ibrahim Abdel-Janabi [1]

M. Firas Hamad Khalaf Jubouri [2]

1- Faculty of Education for Humanities / History Department
2- Faculty of Arts

Mohamad abrahem@ tu.edu.ig

Keywords:
His birth
Percentage
The emergence of Al-Hajjaj's
Arabization of religions
Building the city of Wasit

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 18 June. 2019
Accepted 3 July 2019
Available online 25/ Sept/ 2019
Email: adxxx@ tu. edu .iq

A B S T R A C T

Al-Hajjaj Bin Yusuf al-Thaqafi played an important role in the history of the Umayyad dynasty. His administrative and military capabilities enabled him to establish outstanding foundations—a matter that made him among the most distinguished governors of history. Historians and critics as well differ in determining the dimensions of the Al-Hajja's' personality. While some of them are forced to adhere to some historical facts, other historians and critics carefully praise and justify his doings. As such, Al-Hajaj Bin Yusuf is among the most debatable figures whose period of ruling Iraq lasted twenty years and extended since the year (75-95 / 695 - 714m). His ruling period was full of events that have bothered the Umayyad Caliphate. In this sense, any research on this historical figure requires reconsideration of all the events that accompanied his ruling period. The research, accordingly, sheds the lights on the reasons that led to debatable discussions about him; it also examines his administrative achievements and their consequences.

© 2019 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.26.2019.12

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

الجوانب الحضارية والاقتصادية في إدارة الحجّاج بن يوسف الثقفي للعراق (٧٥-٩٥هـ/ ٦٩٥-٧١٤م)

أ.م.د. محمد ابراهيم عبد الجنابي/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم التاريخ
م.م. فراس حمد خلف الجبوري/ كلية الآداب

الخلاصة

شغل الحجّاج بن يوسف الثقفي مكانة مهمة في تاريخ الدولة الأموية، وكان له دوراً بارزاً في تثبيت أركانها بعدما أبدى قدرات إدارية وعسكرية جعلته في مصاف الولاة الذين خلّدهم التاريخ.

اختلف المؤرخون ونُقّاد التاريخ في جدلية تحديد أبعاد شخصية الحجّاج، فمنهم من قدح على وفق ما تشكل لديه من حقائق تاريخية، ومنهم أشاد على استحياء وحذر بغية إنصافه، ولأن المنهجية التاريخية تفرض النظر إلى شخصيات التاريخ بحيادية رغم التناقضات التاريخية التي غلفّت سِيَر العديد منهم، فأن الحجّاج يأتي في مقدمة أولئك الذين أثير حولهم النقاش والجدل على مجمل سياساته التي اتبعها طيلة المدة التي تولى فيها حكم العراق والتي استمرت لعشرين عاماً وامتدت منذ سنة (٧٥-٩٥هـ/٦٩٥-٧١٤م)، كانت حافلة بالأحداث الجسام التي اقلقت الخلافة الأموية، وعلى هذا الأساس فأن أي دراسة عن الحجاج تتطلب النظر إلى مجمل الأحداث التي رافقت ولايته والبحث في الأسباب التي دعت إلى انتهاجه تلك السياسات، والوقوف كذلك على منجزاته الإدارية والنتائج المترتبة عليها.

.

المقدمة:

إن تناول أعمال الحجاج في مجالي الإدارة والإصلاحات الإقتصادية تفرض على الباحث التاريخي أن يتمحص ويتفحص بعين بصيرة كل تلك السنين الطويلة التي قضاها الحجاج على ولاية العراق كيما يخرج بمادة تاريخية ذات بُعد أكاديمي منهجي، وهو ما دأبنا جاهدين من أجله في هذا البحث الذي حاولنا من خلاله تقصي أبرز إنجازات الحجاج والنأي عن نقاط الخلاف حول شخصيته وسياسة القسوة التي اتبعها والتي بسببها ضاعت أعماله ومنجزاته ولم تحضَ بالإهتمام التاريخي اللازم، ولعل هذا ما قصده الإمام الذهبي عند ذكره للحجّاج في كتابه (سير أعلام النبلاء)، "نسبُّه ولا نحبه، بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء"[١].

لقد قُسّم البحث على مبحثين، وكل مبحث احتوى على عدة مطالب أوضحت تعريفاً بالحجّاج بن يوسف الثقفي ولادته ونشأته ونسبه، ومن ثم بروز شخصية الحجاج مع تعريف مقتضب بمقدرته العسكرية من خلال مواجهته للزبير بن العوام رضي الله عنه والقضاء عليه، ثُم توليته على العِراقَين، ويُختتم المبحث بتنقيط القرآن بأمر الحجّاج بن يوسف، بينما جاء المبحث الثاني مخصصاً لجهود الحجاج في مجال الإدارة كاهتمامه بتعريب بالدواوين والنقود، وبنائه مدينة واسط وأهم ما أضافه في هذا المجال، فضلا عن تناول بعض اجراءاته في المجال الإقتصادي والتي كانت على جانب كبير من الأهمية.

اعتمد البحث على مصادر ومراجع عديدة أفادته وأغنته كثيراً، ومن تلك المصادر ما تطرق بإسهاب في تناول حياة الحجاج وإدارته للعراق، مثل كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ، و كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري، و سير أعلام النبلاء للذهبي، و وفيات الأعيان لإبن خلكان، ومن المراجع كتاب (التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري) لصالح أحمد العلي، و كتاب (العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي) لعبدالواحد ذنون طه، و كتاب (تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي) لحسّان حلّاق، وغيرها كثر.

فإن وفقّنا فمن الله وحده، وإن كان هناك سهو أو نقص فمن أنفسنا، والكمال لله سبحانه وتعالى.

المبحث الأول: ولادته ونشأته وبداية بروزه.

المطلب الأول: ولادته ونشأته ونسبه.

في سنة أربعين للهجرة أو في نحوها ولِدَ الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو ما اتفقت عليه كتب التراجم ومصادر التاريخ، "ولد سنة أربعين أو إحدى وأربعين وتوفي سنة خمس وتسعين"[٢]، وبهذا يكون قد ولد ونشأ في مطلع خلافة بني أمية وعاصر الكثير من الأحداث التي وقعت فيها.

نشأ الحجاج في عائلة بسيطة بالطائف، وعمل كعمل أبيه معلماً للصبيان، وهو عمل متواضع لا يُقدم عليه إلا أهل الحاجة والمستضعفون، "والسبب في احتقار العرب للمعلم أنهم كانوا يحتقرون الصناعات، والتعليم من جملتها فلا يشتغل به إلا المستضعف الذي ليست له عصبيته، فأوحى إليهم هذا الفهم الخاطئ ما أوحى من هجاء"[٣]، "وفي الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا. وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أنّ الحجّاج وأباه كانا معلمين بالطائف"[٤].

ومما نُسِب إلى مالك بن الريب[٥] من شعر فيه ذم وقدح بالحجاج وهو ممّا يُرد ولا يمكن أن يكون صحيحاً، ذلك أن مالك ابن الريب مات قبل بلوغ الحجاج وظهوره على الساحة العسكرية والسياسية، ومن الشعر[٦] الذي يُنسب إلى مالك تصغيراً للحجاج.

فماذا ترى الحجّاج يبلغ جهده ... إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسفٍ ... كما كان عبداً من عبيد إياد

زمان هو العبد المقرّ بذلّةٍ ... يراوح صبيان القرى ويغادي.

وعلى النقيض مما تقدم فأن الإشتغال في التعليم كان من الأهمية بمكان أن يزيد من صقل الشخصية ويبلغها مبلغاً من التفقّهِ والتعلم، وهو ما كان عليه الحجاج بداية نشأته، "ولا شك فأن الحجاج نشأ في أسرة مثقفة فقد كان أبوه يوسف معلماً... وكذلك كانت أخته زينب تجمع إلى معرفة القراءة الاهتمام بالأمور العامة، حتى أن الحجاج لمّا تغلب على ثورة ابن الأشعث[٧] بعث بكتاب إلى عبدالملك بن مروان وبكتاب آخر في الموضوع نفسه اليها. وكانت زينب فوق ذلك مترفة تشتو بمكة وتصيف بالطائف"[٨]. كذلك فأن عمل الحجاج واشتغاله في التعليم بداية نشأته كان له مردوداً في صقل شخصيته وتفقهه، "ثم نشأ شابا لبيبا فصيحا بليغا حافظا للقرآن، قال بعض السلف: كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة، وقال أبو عمرو بن العلاء[٩]: ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري، وكان الحسن أفصح منه"[١٠].

وينتسب الحجاج إلى قبيلة ثقيف وهي واحدة من قبائل العرب بالغة الأثر والفخر، "وهي بطن متسع من هوازن، من العدنانية، اشتهروا باسم ابيهم، فيقال لهم: ثقيف، وهم: بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان. ومن ثقيف بنو جهم بن ثقيف، وبنو عوف بن ثقيف ويعرفون بالأحلاف"[١١]، وإلى عوف بن ثقيف ينتسب الحجاج بن يوسف الثقفي.

المطلب الثاني: بروز شخصية الحجاج:

قُدّر للحجّاج أن يكون قريباً من روح بن زنباع[١٢] كاتب عبدالملك بن مروان، وربما كان ذلك إمتداداً لمكانة يوسف بن الحكم الثقفي والد الحجّاج لدى الخليفة، "فأما «يوسف» فولّى لعبدالملك بعض الولايات"[١٣]، ودون شك فأن ما يمتلكه الحجّاج من مؤهلات جعلته يحظى باهتمام كاتب الخليفة إلى درجة أنه رشّحه ليتقلد منصباً هاماً وهو لمّا يزل جندياً في شرطة الخلافة، وممّا جاء ذكره في كتاب (العِقد الفريد)، "ثم لحق الحجاج بن يوسف برَوح بن زنباع وزير عبدالملك بن مروان، فكان في عديد شرطته، إلى أن شكا عبدالملك بن مروان ما رأى من انحلال العسكر، وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله. فقال روح بن زنباع: يا أمير المؤمنين، إن في شرطتي رجلاً لو قلَّده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله. يقال له الحجاج بن يوسف! قال: فإنا قد قلَّدناه ذلك. فكان لا يقدر أن يتخلف عن الرحيل والنزول، إلا أعوان روح بن زنباع، فوقف عليهم يوماً وقد رحل الناس وهم على طعامٍ يأكلون، فقال لهم: ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين؟ فقال له: انزل يا ابن اللخناء[١٤] فكُل معنا. فقال: هيهات ذهب ما هنالك. ثم أمر بهم فجُلدوا بالسياط وطوّفهم في العسكر، وأمر بفساطيط[١٥] روح

بن زنباع فأحرقت بالنار؛ فدخل بن زنباع على عبدالملك بن مروان باكياً، فقال له: مالك؟ فقال يا أمير المؤمنين، الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطتي، ضرب عبيدي وأحرق فساطيطي! قال: عليَّ به. فلما دخل عليه قال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: ما أن فعلت يا أمير المؤمنين! قال: ومن فعله؟ قال أنت فعلته؛ إنما يدي يدُك، وسوطي سوطك؛ وما على أمير المؤمنين أن يُخلِفَ على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين وللغلام غلامين، ولا يكسرني فيما قدّمني له؟ فأخلَف لروح بن زنباع ما ذهب له وتقدم الحجاج في منزلته، وكان ذلك أولَ ما عرف من كفايته"(١٦).

ولعل ما أظهره الحجاج من مقدرة في القيادة كان له أثره في أن تناط إليه مهمة غاية في الأهمية وفي مرحلة مفصلية من عمر الخلافة الأموية، وقد تمثل ذلك بأن أمّره الخليفة عبدالملك بن مروان سنة ٧٢هـ على رأس الجيش المتجه إلى مكة لقتال عبدالله بن الزبير ﷺ والقضاء عليه، وقد تجلت قسوة الحجاج في تلك المهمة بشكلٍ كبير، إذ تجرأ على ابن بنت صاحب رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ وابن أخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، واستباحته لحرمة بيت الله الحرام، وكلها أمور عظام لا يرضاها أي مسلم، "وفي هذه السنة وجّه عبدالملك الحجّاج بن يوسف إلى مكة لقتال عبدالله بن الزبير، وكان السبب في توجيهه الحجّاج إليه دون غيره –فيما ذُكِرَ– أن عبدالملك لما أراد الرجوع إلى الشام، قام إليه الحجاج بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين، إني رأيتُ في منامي أني أخذتُ عبدالله بن الزبير فسلخته، فابعثني إليه، وولّني قتاله. فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام، فسار حتى قدِم مكّة، وقد كتب إليهم عبدالملك بالأمان إن دخلوا في طاعته... فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجّاج حتى كان قُبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه، وخرج عامَّة أهل مكة إلى الحجّاج في الأمان... وذُكِر أنّه كان ممّن فارقه وخرج إلى الحجّاج ابناه حمزة وخُبيب فأخذا منه لأنفسهما أماناً"(١٧).

وحدث بعد ذلك ما حدث من مآسي وتقتيل بين المسلمين ما لا يسع المكان لذكرها حتى قضى الحجاج على ابن الزبير وبعث برأسه إلى عبدالملك بن مروان، "ثم دخل الحجّاج مكّة، فبايع من بها من قريش لعبدالملك بن مروان"(١٨)، وكان مقتل ابن الزبير "لسبع عشرة ليلة مضين من جمادي الأولى، سنة ثلاث وسبعين"(١٩).

المطلب الثالث: الحجاج والياً على العراق.

بعد ما أظهره الحجّاج من مقدرة في إخضاع معارضي الخلافة الأموية في الحجاز وإرجاعهم إلى طاعتها بكل الوسائل، تولّى شؤون المدينة ومكة والطائف، " فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته وقهره وقسوته وشهامته، فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية العراق "[٢٠].

من هنا بدأت إدارة الحجاج للعراق، إذ أصبح عبدالملك يقدِّمه لكل أمر جسيم ويمنحه صلاحيات واسعة ربما لم يحصل عليها والٍ قبله، كما أعطاه الأذن في استخدام القوة وعدم التهاون في ردع المناوئين للخلافة الأموية، كل هذا جعل الحجاج يعلو شأنه في مختلف المجالات السياسية والعسكرية ليقدم انموذجاً إدارياً ناجحاً.

كانت ولاية الحجاج على العراق طويلة وزاخرة بالأحداث التي بدأت في أول يوم تولى فيه شؤون المصرين الكوفة والبصرة، فقد بدأها بخطبته المشهورة في البصرة والتي تجلت فيها قدرته البيانية، ليعطينا تصوراً واضحاً عن عِلمهِ ورجاحة عقله فضلاً عن جرأته مع شعب لا يُساس بسهولة ويُسر، فكانت انطلاقته تلك تؤذن بأن ما أرسله إليه الخليفة عبدالملك بن مروان لم يأتِ من فراغ، وإنما عن دراية وتصور ناضج من قِبل الخليفة فيمن قدّمه لتلك المهمة الشاقة، خاصة وأن أهل العراق كانوا يشكّلون مصدر قلق دائم للخلافة الأموية وذلك بما معروف عنهم من ولاء مناهض لها ورافض لسياستها، ولذلك يمكن القول أن الحجّاج نجح في قيادة العراق منذ الوهلة الأولى التي وصل فيها إلى هذا البلد، واستمر نجاحه متواصلاً طيلة فترة ولايته، وما نتج عن تلك الولاية كان كبيراً بجميع الإتجاهات، وقد سجّل له التاريخ ومضات حضارية غاية في الأهمية لم تقتصر على جانب دون الآخر، وما يهمنا هنا إبراز تلك الومضات والمحطات الهامة من تاريخ العراق والدولة الأموية.

المطلب الرابع: تنقيط القرآن في عهد الحجّاج.

قبل تناول تعريب الدواوين والنظام النقدي في عهد الحجّاج، لا بد من تناول أعظم وأجلّ وأهم ما قدّمه الحجاج طيلة مدة ولايته على العراق، والمتمثل بتعظيمه للقرآن الكريم وعمله الجليل في تنقيطه بعد أن كثر فيه التصحيف[٢١]، "وقد روي أن السبب في نَقْط المصاحف أن الناس غَبَروا[٢٢] يقرءون في مصاحف عثمان رحمة الله عليه، نيفاً[٢٣] وأربعين سنة، إلى أيام عبدالملك بن مروان. ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزِع الحجّاج إلى كُتّابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات. فيقال: أن نصر بن عاصم[٢٤] قام بذلك، فوضع للنّقط أفراداً وأزواجاً. وخالف بين أماكنها بتوقيع بعضها فوق

الحروف، وبعضها تحت الحروف. فغبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً. فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام[٢٥]، فكانوا يُتبِعون النَّقط بالإعجام. فإذا أُغفل الاستقصاءُ على الكلمة فلم توفَّ حقوقها اعترى هذا التصحيف، فالتمسوا الحيلة، فلم يقدروا إلا على الأخذ من أفواهِ الرجال"[٢٦]، وهذا عمل كبير جليل أقدم عليه الحجّاج ملتمساً فيه حلَّ اشكال جسيم تناقلته الأجيال منذ عهد عثمان بن عفان ﷺ، وقد يكون مدعى ذلك بسبب كثرة الداخلين في الإسلام من غير العرب واختلاف الألسن واللهجات، وأكثر ما وقع فيه القرّاء في العراق إلى أن هيأ الله من ينبري لهذه المهمة وحل الإشكال، فقد كان الحجاج مهتماً أيما اهتمام للقرآن وعلومه، "وكان ذا شجاعة وإقدام ومكرٍ ودهاء، وفصاحةٍ وبلاغة، وتعظيم للقرآن"[٢٧]، "وقال الحسن[٢٨]: الحجاج يتلو تلاوة أزرقي[٢٩]، ويحكم حكم جبّار"[٣٠]. ولم تأتِ جهود الحجّاج تلك إلا لأنه كان يتلمس تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة لا يشوبها تصحيف أو تحريف، وهو بذلك قدّم خدمة جليلة للإسلام والمسلمين، إذ "أن الحجاج بن يوسف كتب مصاحف وبعث بها إلى الأمصار ووجّه بمصحف منها إلى مصر"[٣١].

المبحث الثاني: تعريب الدواوين والنظام النقدي وبناء مدينة واسط

المطلب الأول: تعريب الدواوين.

كان لجهود الخليفة عبدالملك بن مروان في المجال الإداري أثر بالغ في تطوير هذا الجانب الهام جداً، ولعل اهتمامه ذاك، كان من أُسس حركة التعريب التي اضحت صفة تميز فترة حكمه، نظراً لأهميتها وما ادت إليه من نتائج تُحسب له ولمن وقف وراء نجاحها، وهنا لا بد من ذِكر الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق، الذي مثّل بحق صورة الوالي القادر على تنفيذ سياسات الدولة وتطبيقها على أرض الواقع تطبيقاً فعلياً، فكان إذ ذاك أن قدمت تلك السياسة الناضجة واحدة من المنجزات الحضارية الهامة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية.

ولتطور النظام الإداري مقدمات و سوابق فرضتها الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، فقد كانت له بصمات إدارية هامة تعلقت باستحداث ديوان الجند، والديوان هو "الدفتر يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء"[٣٢]، وكان ديوان الجند مكتوباً باللغة العربية منذ استحداثه في عهد الخليفة عمر ﷺ، "ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان: أحدهما بالعربية، لإحصاء الناس وأعطياتهم، وهذا الذي كان عمر ﷺ قد رسمه، والآخر لوجوه الأموال، بالفارسية، وكان بالشام مثل ذلك، أحدهما بالرومية، وآخر بالعربية"[٣٣]، بدأت الإستحداثات في الدواوين خلال عصر الخلافة الأموية وذلك وفقاً

للمتغيرات الكبيرة التي حدثت في ذلك العصر، إذ أصبحت الحاجة ملحّة إلى دواوين متخصصة في مجالات عديدة، وهذا يعني أن بعض الدواوين التي أوجدت بعد ذلك كانت تكتب بلغات غير العربية، إذ لم يكن العرب قد أتقنوا هذا الأمر بعد ولم يكن لهم باعاً طويلا فيه، وذلك ما جعل الدهاقين والموالي وغيرهم ممّن كانوا مسؤولين على تلك الدواوين متنفذين في هذا المجال، فكان لزاماً على الخليفة وولاته أن يهيئوا بدلاءً عرباً يمتهنون ويتقنون هذا العمل أو يكونوا مشرفين عليه، وتَعد عملية تعريب الدواوين واحدة من أعظم منجزات الدولة الأموية على صعيد تنظيم الأمور المالية للدولة كما فتحت آفاقاً واسعة لانتشار اللغة العربية في جميع مناطق الدولة الإسلامية حينذاك، "وكانت تلك العملية حدثاً مهماً في اتجاهات الإدارة المالية العربية آنذاك، لأن التعريب سيسهل الرقابة والإشراف عليها من كل مختص من العرب فيحد بذلك من الغش والتزوير، دون الحاجة أن يكون رومياً أو فارسياً أو بالأحرى مولى من الموالي أو ذمياً لكي يتمكن من معرفة الحسابات وخفاياها، وهذا الإجراء فتح الباب أمام الكثيرين من العرب ليدخلوه، وليكونوا فيما بعد طبقة من الكتاب أتاحت المجال لنهضة لغوية ولاستعمالات جديدة للغة العربية في حقل جديد"[٣٤].

كان دور الحجّاج بن يوسف الثقفي كبيراً وهاماً في مجال تعريب الدواوين ولا يمكن إخفاء مثل هذا العمل الجليل، كما أنه يعطينا تصوراً واضحاً عن مدى اهتمامه في تنظيم مؤسسات الدولة وإدارتها بما يتلاءم مع مكانتها وحجمها واتساعها بعد أن دانت لها مشارق الأرض ومغاربها وأصبحت امبراطورية مترامية الأطراف وبحاجة إلى قادة وإداريين أكفاء، وهو ما حدث بالفعل، "لم يزل ديوان خراج السواد وسائر العراق بالفارسية، فلمّا ولّي الحجاج العراق استكتب زادان فرّوخ بن بيري، وكان معه صالح بن عبدالرحمن مولى بني تميم، يخُطُّ بين يديه بالعربية والفارسية، وكان أبو صالح من سبي سجستان، فوصل زادان فرّوخ صالحاً بالحجّاج... ثم أنّ زادان فرّوخ قُتل أيام عبدالرحمن بن الأشعث الكندي، وهو خارج من منزل كان فيه إلى منزله، أو منزل غيره فاستكتب الحجاج صالحاً مكانه... فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية، وقلّد ذلك صالحاً فقال له مردانشاه بن زادان بن فرّوخ، كيف تصنع بدَهوية وشَشوية، قال: أكتب عُشْر ونصف عُشْر، قال فكيف تصنع بويد، قال أكتبه أيضاً، والويد النيف والزيادة تزاد. فقال قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية"[٣٥]، ومن هذه الرواية يتبين أن كتّاب ديوان الخراج من الفرس كانوا متمسكين باللغة الفارسية ومعظّمين لها رغم اشهار العديد منهم الإسلام وائتمان المسلمين لهم في شؤونٍ كثيرة، وهذا يقود إلى الإعتقاد أن الشؤون المالية للدولة العربية الإسلامية كانت على شفا الخطر بسبب مقدرة أولئك الضالعين بالتنظيمات المالية من الفرس أو الروم أن يتحكموا بمصيرها، وفضلاً

عن ذلك فأن بقاء تلك الدواوين تحت تحكم الكتاب الفرس يجعلها عرضة لمحاولتهم افشال عملية التعريب أو التأثير عليها على اقل تقدير.

استُهلّ العمل بتعريب الدواوين مطلع العقد الثامن من القرن الأول الهجري، وكانت البداية من الشام، "ولم يزل ديوان الشام بالرومية حَتَّى ولي عَبْد الملك بْن مروان، فلما كانت سنة ٨١ أمر بنقله، وذلك أن رجلا من كتاب الروم احتج أن يكتب شيئا فلم يجد ماء فبال في الدواة، فبلغ ذلك عَبْد الملك فأدبه، وأمر سُلَيْمَان بْن سَعْد بنقل الديوان، فسأله أن يعينه بخراج الأردن سنة ففعل ذلك وولّاه الأردن فلم تنقض السنة حَتَّى فرغ من نقله وأتى به عَبْد الملك فدعا بسرجون كاتبه فعرض ذلك عَلَيْهِ فغمّه، وخرج من عنده كئيبا فلقيه قوم من كتاب الروم، فقال: اطلبوا المعيشة من غير هَذِهِ الصناعة، فقد قطعها الله عنكم"[٣٦]، وكان ذلك العمل الجليل أول عملية تعريب منظمة وجبارة، "وقد أدى إلى نقل كثير من المصطلحات الفارسية واليونانية إلى العربية، وساعد على شيوع العربية وانتشارها بين الموالي، وعلى أن تصبح العربية لغة الإدارة والثقافة، إضافة إلى أنها لغة السياسة والدين"[٣٧].

المطلب الثاني: الحجاج وتعريب النظام النقدي.

لم يطرأ على النقود المتداولة في بلاد المسلمين تغييراً هاماً منذ اتساع دائرة الفتوحات الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان المسلمون يتعاملون بالدنانير الذهبية البيزنطية والدراهم الفضية الساسانية التي أخذت أوزانهما وأحجامهما تشهد تفاوتاً بسبب كثرة تداولهما، أو بسبب تهشمها وتكسرها، "وأما مكسور الدراهم والدنانير فلا يلزم أخذه لالتباسه وجواز اختلاطه ولذلك نقصت قيمتها عن المضروب والصحيح واختلف الفقهاء في كراهيتها، فذهب مالك وأكثر فقهاء المدينة إلى أنه مكروه لأنه من جملة الفساد في الأرض وينكر على فاعله"[٣٨]، أو بسبب عمليات الغش في صناعتهما، "وقد كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم فجاء الإسلام ونقودهم من العين[٣٩] والورق[٤٠] غير خالصة إلا أنها كانت تقوم في المعاملات مقام الخالصة وكان غشها عفوا لعدم تأثيره بينهم إلى أن ضُرِبت الدراهم الإسلامية فتميز المغشوش من الخالص"[٤١]، وهذا الامر استوجب على الخلافة الأموية أن تعالجه بخاصة وأنهما يتداولان في مجالات شرعية متعددة، منها الزكاة و عطاءات بيت المال للمسلمين فضلاً عن ما تنفقه الخلافة من رواتب وأجور لموظفيها وقضاء احتياجاتهم.

كانت مهمة تعريب النظام المالي من أبرز الأعمال الحضارية التي كلّف بها الخليفة عبدالملك بن مروان واليه على العراق الحجّاج بن يوسف الثقفي، "قال أبو الزناد[٤٢] فأمر عبدالملك بن مروان الحجاج

أن يضرب الدراهم بالعراق فضربها سنة أربع وسبعين. [قال المدائني[٤٣] بل ضربها الحجاج في آخر سنة خمس وسبعين] ثم أمر بضربها في النواحي سنة ست وسبعين"[٤٤]، والأرجح أن الخليفة كلّف الحجاج بضرب الدراهم في مطلع سنة ستٍ وسبعين للهجرة، وهو ما ذهب أليه وأكده ايضاً أبن قتيبة الدينوري في كتابه (المعارف)، "ثم كتب «عبدالملك» إلى «الحجاج»، بعهده على «العراق»، فسار إليها سنة خمس وسبعين، وضُربت له الدنانير والدراهم بالعربية سنة ست وسبعين"[٤٥].

ترك الحجاج أثراً بالغاً في مجال تعريب النظام النقدي، فكانت تلك بادرة مهمة من قِبل الخليفة وجدت تنفيذاً جريئاً من قِبلِ الحجّاج الذي أسس دوراً لسك العملة في العراق، وتلك الخطوة –تعريب النظام المالي– خطوة ذات دلالات كبيرة ليس على مستوى العالم الإسلامي فقط وإنما تعدتها إلى أوسع من هذا النطاق، فقد كانت تحدياً واضحاً للدولة البيزنطية التي كانت عملتها متداولة في معظم أرجاء الدولة العربية الاسلامية، كما أن قيام الحجاج بحذف صور أباطرة الدولة البيزنطية أو أكاسرة الفرس واستبدالها بالكتابة باللغة العربية على وجهي العملة الجديدة وتضمينها آيات قرآنية يحمل هو الآخر دلالات دينية اسلامية فضلاً عن دلالاتها السياسية، وكان ممّا جرى بين عبد الملك بن مروان وملك الروم قبل تعريب النقود وسكّها، أن الخليفة الأموي "أمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان[٤٦]، وكان عامله بمصر، بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرّز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وأن يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بصورة التوحيد، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨]... وكتب إلى عمّال الآفاق جميعًا بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وُجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل... فلما أُثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم منها انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضبًا وكتب إلى عبد الملك... وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير والدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي"[٤٧]، في هذه المروية اشارة هامة إلى أن ديوان الطراز بشكله العربي الخالص كان قد استحدث في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان وهو ما أثار حفيظة ملك الروم، وربما كانت تلك الحادثة واحدة من الأسباب التي جعلت الخليفة عبدالملك بن مروان يفكر بتعريب النقود كي لا يبقى المسلمون أسارى من الناحية المالية بيد النصارى والفرس، وأن يكون للمسلمين عملتهم الخاصة التي من شأنها أن تعزز اقتصادهم وتزيد من تقدمهم على سائر الأمم.

وبهذا فقد كان لتلك الخطوة دلالة واضحة على توجه الدولة الأموية توجها عربياً خالصاً واستقلالها في معظم مفاصلها الإدارية والاقتصادية.

المطلب الثالث: بناء مدينة واسط.

تعد مدينة واسط من المدن المهمة ليس بتاريخ العراق فحسب وإنما في تاريخ الإسلام، وكان بناؤها بأمرٍ من الحجّاج بن يوسف الثقفي، وذلك بسبب تزايد الثورات ضده، فضلاً عن أن أهل الكوفة بدأوا يتضايقون من تصرفات جند الشام وتجاوزاتهم التي بلغت حداً لا يطاق، "وكان سبب ذلك أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان... وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعُرس، فانصرف إلى منزله ليلاً، فإذا سكران من أهل الشام قد طرق الباب، فقالت المرأة: هذا كل ليلة يأتينا فنلقى منه المكروه، فلما دخل ضرب الفتى رأسه فأندره[٤٨]، فلما أصبحوا علم الناس بالقتيل، فذهبوا إلى الحجاج، فسأل المرأة فصدقته، فقال: قتيل إلى النار، لا قود له. ثم نادى مناديه: لا ينزلن أحد على أحدٍ، وبعث رُوّاداً يرتادون له منزلاً حتى نزل أطراف كسكر[٤٩]. فبنا هو في موضع واسط إذ راهب قد أقبل على حماره، فلما كان موضع واسط بالت الأتان[٥٠]، فنزل الراهب فاحتفر الأرض وحمل التراب فرمى به في دجلة، فقال الحجاج: علي به، فجيء به، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: نجد في كُتُبنا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله عز وجل فيه ما دام في الأرض من يوحد، فبنى المسجد في ذلك الموضع"[(٥١)]، ومن هذه المروية التي وردت في أغلب مصادر التاريخ يتضح مدى الهوّة بين أهل الكوفة وجند الشام الذين أخذوا يضايقون الناس إلى الحد الذي ذكرت تفصيلاته هذه المروية وغيرها من المرويات، كما يتضح أيضاً أن الحجّاج أخذ يبحث عن موقعٍ آخر يمكن له من أن يجعله قاعدة جديدة لانطلاق الجيوش للفتوحات فضلاً عن أنه ربما أدرك تماماً أن أهل العراقين، الكوفة والبصرة سيبقون على قدر من المناهضة والمناوءة لبني أمية وعمالهم في العراق، وعليه أصبح بحاجة إلى منطقة خارج هذين المصرين و تكون وسطاً بينهما تمكنه من إدارة البلاد بأريحية أكثر مما لو كان في البصرة أو الكوفة وربما أراد أن يكون قريباً من هذين المصرين وعلى مبعدة واحدة منهما تمكنه من أن يحكم سيطرته عليهما أفضل ممّا لو كان يمارس ادارته في أحدهما دون الآخر، كما يمكن له من نقل جنود الشام إليها وابعادهم عن الإحتكاك بأهل العراقين.

ويُعد تأسيس واسط وبناؤها من أبرز الأعمال الحضارية للحجّاج بن يوسف، وكان قد شرع ببنائها سنة ٨٣هـ، وقد ازدهرت بعد بنائها واعمارها حتى غدت قبلة للناس على اختلاف مشاربهم، وذلك جاء بعد جهود مضنية وشاقة خاصة وأن أرضها لم تكن صالحة للإعمار والبناء بادئ الأمر، إذ كان قد أمر الحجّاج رجلاً من خاصته أن يذهب ليبحث عن أرض تكون له مستقراً، وذلك بعدما فرغ من حروبه وأحس بغض اهل الكوفة له، "وكان موضع واسط لرجل من الدهاقين[(٥٢)] يقال له داوردان فساومه

بالموضع فقال له الدهقان: ما يصلح هذا الموضع للأمير، فقال: لمَ؟ فقال: أُخبرك عنه بثلاث خصال تخبره بها ثم الأمر إليه، قال: وما هي؟ قال: هذه بلاد سبخةٌ البناء لا يثبت فيها... وهي بلادٌ أعمارُ أهلها قليلة، قال: فكتب بذلك إلى الحجاج، فقال: هذا رجلٌ يكره مجاورتنا فأعلمه أنّا سنحفر الأنهار ونكثر من البناء والغرس فيها ومن الزرع حتى تعذو وتطيب، وأما قوله إنها سبخة وأن البناء لا يثبت فيها فسنحكمه ثم نرحل عنه فيصير لغيرنا، وأما قلة أعمار أهلها فهذا شيء إلى الله تعالى لا إلينا، وأعلمه أننا نحسن مجاورتنا له ونقضي ذمامه بإحساننا إليه، قال: فابتاع الموضع من الدهقان وابتدأ في البناء في أول سنة ٨٣ واستتمه في سنة ٨٦ ومات في سنة ٩٥"[٥٣]، يتضح من هذا أن الحجاج اهتم بشق الأنهر الفرعية ليصل ماؤها إلى واسط وكان ذلك كفيلاً بازدهار زراعتها وتحسين تربتها حتى غدت صالحة للبناء والزراعة والمُقام فيها، وقد أضحت هذه المدينة بعد بنائها بمصاف الأمصار العظيمة وأخذت شهرة واسعة ليس لأنها مصرٌ مستحدث في بلدٍ عظيم كالعراق، ولكن لأنها أصبحت تضم دار الولاية ومركز إدارة الحجّاج للعراق، وهذا لا شك يعطينا تصوراً ناصعاً عن مدى مكانة الحجّاج في زمانه ومدى قدراته الإدارية ذات البعد الحضاري، كما يتضح من بناء الحجاج لسورين يحيطان المدينة ومسجداً جامعاً وقصراً باذخاً أنه قد عزم على جعل واسط بمقام الكوفة والبصرة حتى غدت وكأنها معسكراً مؤمناً لدرجة كبيرة، ويبدو هذا الأمر طبيعياً لمن أراد أن يستقر ويؤسس لإدارة الدولة ومعسكرات الجند، "وكان ذرع قصره أربعمائة في مثلها وذرع مسجد الجامع مائتين في مائتين وصف الرحبة التي تلي صفّ الحدادين ثلاثمائة في ثلاثمائة وذرع الرحبة التي تلي الجزارين والحوض ثلاثمائة في مائة والرحبة التي تلي الاضمار مائتين في مائة، وكان محمد بن القاسم مقلد الهند والسند فأهدى إلى الحجاج فيلاً فحمل من البطائح في سفينة فلما صار بواسط أُخرج في المشرعة[٥٤] التي تُدعى مشرعة الفيل فسميت به إلى الساعة"[٥٥]، وان سبب تسميتها بواسط، فأن ذلك يعود إلى كونها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً[٥٦].

أن بناء واسط على وفق ما وصفته المصادر التاريخية يعطي صورة واضحة لاهتمام الحجّاج بفن العمارة الإسلامية واستحداث وانشاء المدن، ومما يؤكد ذلك توفر كل ما يلزم الناس للعيش في المدينة كبناء المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق على وفق أسس غاية في الترتيب، وهكذا أضاف الحجّاج إلى سلسلة أعماله الإدارية العظيمة عملاً آخراً ما زال شاخصاً إلى يومنا ليكون دلالة بيّنة على حضارة العراق أولاً وإدارة الحجّاج الناجحة ثانياً.

المطلب الرابع: جمله من أعماله الأخرى.

اهتم الحجّاج في إدارة شؤون العراق أهتماماً بالغاً، ولم يترك شاردة وواردة إلا كان له فيها بصمة إدارية كيما تكون البلاد على قدر كبير من التحضر، ولذلك لا غرابة أننا نجده يمنع كل عمل يمكن له أن يشوه صورة العراق حضارياً وجمالياً، وربما كان مبعثه في اهتمامه الكبير بنظافة المدن وترتيبها وتحسين خدماتها إدراكه مكانة العراق في الأمة الإسلامية وواجهتها المهمة، ويمكن تتبع آثاره واجراءاته الداخلية على النحو الآتي، "وكان يأمر بحفر الآبار في المناطق المقطوعة لتوفير مياه الشرب للمسافرين"[٥٧]، "ويقال: أنه لم يمت قوم قط عطشاً إلا وهم على ماء"[٥٨]، وكان له باع كبير في استصلاح الأراضي ومعالجة مشاكلها، "انبثقت البثوق[٥٩] أيام الحجّاج فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبدالملك يعلمه أنه قدّر لسدها ثلاث آلاف درهم فاستكثرها الوليد فقال له مسلمة بن عبدالملك أنا أنفق عليها، أن تقطعني الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد انفاق ثلاثة آلاف درهم يتولى انفاقها ثقتك ونصيحك الحجاج فأجابه إلى ذلك، فحصلت له أرضون من طساسيج[٦٠] متصلة... وعمّر تلك الأرضين وألجأ إليها ضياعاً كثيرة للتعزز به..."[٦١]، وكان مهتماً بالشؤون، صغيرها وكبيرها، جلها وقليلها، بما ينفع الناس ويوفر لهم الراحة والخير والعيش الرغيد، "وكانت الولاة والأشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة، ويحتفرون الصهاريج[٦٢]، وكان للحجّاج بها صهريج معروف يجتمع فيه ماء المطر"[٦٣]، وقد قصد الحجاج من بنائها أيضاً، توفير مياه الشرب لأهل المواسم والقوافل[٦٤].

لقد كان لهجرة الفلاحين من الأعاجم إلى الأمصار اثراً سلبياً في عهد الحجاج ومن سبقه، وقد أثرت تلك الهجرة للأيدي العاملة إلى إهمال للأراضي التي كانت المصدر الرئيس لواردات الدولة، وقد "أدت إلى ضرر بليغ في البلاد بصورة عامّة، إذ حرمت من بعض الأيدي العاملة، فنقص انتاجها"[٦٥]، "وهذا أدى إلى انخفاض في مقدار الخراج"[٦٦]، فكيف عالج الحجّاج هذه المعضلة التي أصبحت تهدد الدولة في الجانب المالي؟، "ويبدو أن هذه المشاكل وصلت حداً خطراً في زمن الحجاج، فاضطر إلى اصدار أمره، بارجاع من كان له أصل في القرى إلى قراه، وأمر أن يختم على يد كل منهم اسم قريته ليعاد إليها"[٦٧].

هذا قليل من كثير وغيض من فيض من إجراءات الحجاج واصلاحاته الإدارية والاقتصادية وغيرها عند توليه شؤون العراق، ومن الأقدار الحسنة التي أظلّت العراق بفيء خيرها وحسن أمورها تدبيراً، أن باشر الحجّاج إدارة شؤونه في عهد عبدالملك بن مروان، فقد كان الإثنان على مقدرة إدارية فذة وحسن تدبير وبعد نظر كان للعراق منها حظّ وافر.

الخاتمة:

ربما لم يُنصَف الحجّاج من قِبَل كتّاب التاريخ، كما لم يكن له حظّ وافر بالتركيز على منجزاته الإدارية التي غطّت عليها قسوته وتوجهاته العسكرية، لكن ذلك لا يمنع من إبراز دوره الإداري في قيادة بلدٍ ليس من السهل تولي شؤونه لما يكتنفه من تناقضات سياسية وفكرية آنذاك، فكان للحجّاج منجزات لا يمكن إغفالها، وعلى هذا الأساس جاء هذا البحث ليكون منصفاً قدر الإمكان لهذه الشخصية الجدلية عبر التاريخ.

لا يمكن تغطية أخبار تلك المرحلة لتاريخ العراق من الناحية الإدارية وما حفلت به في مختلف المجالات الإقتصادية والإجتماعية، وكان التركيز على المرحلة الممتدة منذ تولي الحجّاج إدارة شؤون العراق سنة ٧٥هـ حتى سنة ٩٥هـ، فقد قدّم خلالها صورة للشخصية الصارمة حد القسوة في تصفية مناوئي الدولة الأموية، وهذا ما لا يختلف عليه اثنان، ولكن الإنصاف والحيادية يستوجبان النظر في الجوانب الأخرى من شخصيته، والتي تطرق إليها البحث وأوجزها على النحو التالي.

١- المقدرة العسكرية التي أهلته ليكون على رأس الإدارة للعراق الذي كان يغلي حينذاك وتتلاقفه أمواج السياسات المتناقضة من قِبل حكّامه السابقين للحجّاج، والذين أثّروا كثيراً في تشكيل الصورة الناضجة لبلدٍ لم يهدأ طيلة الفترة الممتدة منذ سنة ٤٠هـ، وهي السنة التي استشهد فيها الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وما تبعها من مراحل كان لها أثراً بالغاً في تحديد مواقف اهل العراق من الحكم الاموي، فكان للحجّاج دور مهم في إعادة ترتيب هذا البلد من الناحية الإدارية، ومكنته من أن يحتل المكانة التي يستحقها.

٢- لا يمكن إغفال ما بناه الحجّاج في الجانب الإداري والذي كان متوازياً مع قدراته القيادية في المجال العسكري.

٣- المحطات الحضارية الكبيرة التي اقترنت مع اسم الحجّاج والتي جعلت من العراق في طليعة الدول التي يمكن لها من قيادة الامة الإسلامية، لم تكن لتأتي لو لم يكن الحجّاج مدركاً لأهمية البلد الذي يقوده، إذ انفرد بقيادة المشرق الإسلامي وكان المحور الأهم بالنسبة للخلافة الأموية.

٤- نجح الحجّاج في تنفيذ السياسات المطلوبة منه، والمتعلقة بإصدار وتعريب العملة، فكان ذلك إيذاناً للبدء بمراحل إصلاح مالية وإدارية كبيرة، ويأتي تعريب الدواوين في مقدمة المنجزات الكبيرة التي اشترك في تنفيذها تلبية لرغبات الخلافة والشعوب الإسلامية على حدٍ سواء.

٦- اهتم الحجّاج بتوحيد المسلمين على قراءة واحدة للقرآن الكريم، ولم يكن ذلك إلا لأنه كان يتلمس تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة لا يشوبها تصحيف أو تحريف، وهو بذلك قدّم خدمة جليلة للإسلام والمسلمين.

٧- كانت المحطة الأبرز في المجال الحضاري بناءه مدينة واسط، والتي رغم أن بناءها كان لأسباب سياسية في الدرجة الأولى إلا أن ذلك لا يمنع من القول أن الحجّاج قدّم نموذجاً للحاكم الحاذق المهتم بشؤون البلاد التي يقودها.

٨- أولى الحجّاج اهتمامه بالجانب الإقتصادي وكانت له أجراءات مهمة في هذا المجال الحيوي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الشعب ورفاهيته.

أخيراً، فأن كل ما تقدم من منجزات كبيرة اقترنت بالحجّاج تبقى محاولة للنظر إلى التاريخ بمهنية وحيادية لإظهار تلك الشخصية الجدلية مظهراً يليق بما قدمته من خدمات لا يمكن اغفالها.

الهوامش:

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرنؤوط و مأمون الصاغرجي، ط٢، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م)، ج٤، ص٣٤٣.

(٢) ابن ايبك الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرنأووط و تركي مصطفى، ط١، (لبنان، بيروت، دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠م)، ج١١، ص٢٣٧.

(٣) زيادة، محمود، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ط١، (مصر، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م)، ص٩.

(٤) الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر، (ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، ت: عبدالسلام محمد هارون، ط٧، (مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م)، ج١، ص٢٥٢.

(٥) مالك بن الريب بن حوط بن قرط المازني التميمي: شاعر، من الظرفاء الأدباء الفتاك. اشتهر في أوائل العصر الأموي، (ت نحو ٦٠هـ). الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٦١.

(٦) المبرد، أبو العباس محمدبن يزيد، (ت٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، ت: محمد أحمد الدّالي، ط٣،

(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م)، ج٢، ص٦٣٠.

(٧) عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة. وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي. سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان. فغزا بعض أطرافها، وأخذ منها حصوناً وغنائم، (ت٨٥هـ). الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٣٢٣.

(٨) فرّوخ، عمر، الحجاج بن يوسف الثقفي، بلا ط، (لبنان، بيروت، مكتبة الكشاف، ١٩٤١م)، ص٣.

(٩) أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ الإمام، عالم أهل البصرة حجة في القراءة. فأما في الحديث فقلّ ما روى. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة (٧٠-١٥٤هـ). الذهبي، ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: علي محمد البجاوي، بلا ط، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، بلا ت)، ج٧، ص٥٥٦؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٤١.

(١٠) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ت: علي شيري، ط١، (لبنان، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ج٩، ص١٣٨.

(١١) كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٨، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م)، ج١، ص١٤٨.

(١٢) روح بن زنباع بن روح بن سلامة، الأمير الشريف، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، سيد قومه... توفي سنة أربعٍ وثمانين... وكان شبه الوزير للخليفة عبدالملك. روى عن أبيه -وله صحبه- وعن تميم الداريّ، وعبادة بن الصامت. وعنه: ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، وعُبادة بن نُسَيّ، وآخرون. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٥١-٢٥٢.

(١٣) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (ت٢٧٦هـ)، المعارف، ت: ثروت عكاشة، ط٤، (مصر، القاهرة، دار المعارف، بلا ت)، ص٣٩٥.

(١٤) اللخن: نتنُ الريح عامّة... وامرأة لخناء. ويقال: اللخناء التي لم تُختن. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ت: نخبة من العاملين بدار المعارف، بلا ط، (مصر، القاهرة، دار المعارف، بلا ت)، ج٤٥، ص٤٠١٨.

(١٥) الفسطاط: بيت من شَعَر، وفيه لغات: فُسطاطٌ و فُستاطٌ و فُسّاطٌ. ابن منظور، لسان العرب، ج٣٨، ص٣٤١٣.

(١٦) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، (ت٣٢٨هـ)، العِقد الفريد، ت: عبدالمجيد الترحيلي، ط١، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ج٥، ص٢٧٥-٢٧٦.

(١٧) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ت: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، (مصر، القاهرة، دار المعارف، بلا ت)، ج٦، ص١٧٤-١٨٨.

(١٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٩١-١٩٢.

(١٩) ابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبدالله بن مُسلم، (ت٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ت: علي شيري، ط١، (لبنان، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٠م)، ج٢، ص٣٩.

(٢٠)ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص١١.

(٢١) والمُصَحِّفُ والصَّحَفِيُّ: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصُّحُفِ بأشباه الحروف. ابن منظور، لسان العرب، ج٢٧، ص٢٤٠٥.

(٢٢) غبر، غَبَرَ الشيء يغبرُ غُبُوراً: مَكَثَ وذَهَبَ. وغَبَرَ الشيء يَغبُرُ. أي بقى والغابر: الباقي. والغابر

الماضي. وهو من الأضداد... وقال غير واحد من الأئمة: إنّهُ يكون بمعنى الماضي. ابن منظور، لسان العرب، ج٣٦، ٣٢٠٥.

(٢٣) نيف: النيف: [مثقل] في قولهم: مائة ونيف: الزيادة. ابن فارس، احمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م)، ج٢، ص٨٤٩.

(٢٤) نصر بن عاصم الليثي، كان فقيهاً عالماً بالعربية، قرأ القرآن على أبي الأسود، وأبو الأسود قرأ على علي بن أبي طالب ﷺ، وكان يُسند إلى علي بن أبي طالب، ﷺ، في القرآن والنحو، وتوفي سنة تسع وثمانين للهجرة في أيام الوليد بن عبدالملك. ابن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص٤٤.

(٢٥) عجم. العُجمُ والعَجَمُ: خلاف العُربِ والعَرَبِ... والعَجَمُ غيرُ عربٍ. ابن منظور، لسان العرب، ج٣٢، ص٢٨٢٥.

(٢٦) العسكري، أبي أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد، (ت٣٨٢هـ)، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ت: عبدالعزيز أحمد، ط١، (مصر، القاهرة، مطبعة مصطفى الابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٣م)، ج١، ص١٣.

(٢٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٤٣.

(٢٨) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، كان من سادات التابعين، وجمع كل فنّ من علم وزهد وورع وعبادة. وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، وأمه خير مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ... ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة، ويقال أنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مُستهل سنة عشر ومائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٦٩-٧٢.

(٢٩) والأزارِقة من الحرورية: صنف من الخوارج، واحدهم أزرقي، يُنسَبون إلى نافع بن الأزرق. ابن منظور، لسان العرب، ج٢١، ص١٨٢٧.

(٣٠) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (ت٢٧٩هـ)، جمل من انساب الأشراف، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، (لبنان، بيروت، دار افكر العربي، ١٩٩٦م)، ج١٣، ص٤١٥.

(٣١) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله، (ت٢٥٧هـ)، فتوح مصر وأخبارها، ت: شارلز تورّي، بلا ط، (هولندا، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٢٠م)، ج٢، ص١١٧.

(٣٢) أنيس، ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط٤، (مصر، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤م)، ص٣٠٥.

(٣٣) الجهشياري، أبو عبدالله بن عبدوس، (ت٣٣١هـ)، الوزراء والكتّاب، بلا ط، (لبنان، بيروت، دار الفكر الحديث، ١٩٨٨م)، ص٢٩.

(٣٤) سميسم، سلام عبدالكريم مهدي، السياسة المالية في التاريخ الاقتصادي الإسلامي، ط١، (الأردن، عمّان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠١١م)، ص٣٠٩.

(٣٥) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، ت: عبدالله أنيس الطبّاع و عمر أنيس الطباع، بلا ط، (لبنان، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٨٧م)، ص٤٢١-٤٢٢.

(٣٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧١-٢٧٢.

(٣٧) الدوري، عبدالعزيز، النظم الإسلامية، ط١، (لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨م)، ص١٧١-١٧٢.

(٣٨) الماوردي، أبي الحسن بن محمد بن حبيب، (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ت: أحمد مبارك البغدادي، ط١، (الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ١٩٨٩م)، ص١٩٨.

(٣٩) والعَينُ: الذهبُ عامة... والعين الدنانير. ابن منظور، لسان العرب، ج٣٦، ص٣١٩٨.

(٤٠) والورِق والوِرق والوَرق والرِّقةُ: الدراهم ... وفي الصِّحاح: الورق الدراهم المضروبة... وفي الحديث في الزكاة: في الرقة ربعُ العُشر... يريد الفضة والدراهم المضروبة منها. ابن منظور، لسان العرب، ج٥٣، ص٤٨١٦.

(٤١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٩٦-١٩٧.

(٤٢) عبدالله بن ذكوان أبو الزناد روى عن أنس، مرسل، وعن عبدالله بن جعفر... وكان يغضب إذا قيل له "أبو الزناد" ويكتني بأبي عبدالرحمن. قال مصعب الزبيري: كان فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتابة وحساب، وفد على هشام بحساب ديوان المدينة، توفي فجأة بالمدينة، وكان ثقة في الحديث عالماً بالعربية فصيحاً. ابن أبي حاتم، أبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، (ت٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، ت: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ط٢، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٥٣م)، ج٥، ص٤٩؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٨٦.

(٤٣) علي بن محمد بن عبدالله، أبو الحسن المدائني: (١٣٥-٢٢٥هـ) راوية مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة. سكن المدائن. ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٢٣.

(٤٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٩٧.

(٤٥) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٣٥٧.

(٤٦) عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الأصبغ: أمير مصر. ولد في المدينة، (ت٨٥هـ). الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٨.

(٤٧) البيهقي، ابراهيم بن محمد، (ت٤٥٨هـ)، المحاسن والمساوئ، بلا ت، بلا ط، (لبنان، بيروت، دار صادر، ١٩٨٤م)، ص٤٦٧-٤٧٠.

(٤٨) نَدَرَ الشيء يندر ندوراً: سقط، وقيل سقط وشدَّ... وأندره غيره أي أسقطه. ابن منظور، لسان العرب،ج٤٩، ص٤٣٨٢.

(٤٩) كَسكَرُ: بالفتح ثم السكون، وكاف أخرى، وراء... وقصبتها اليوم واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة، وكانت قصبتها قبل أن يمصّر الحجّاج واسطاً خسرو سابور، ويقال إن حدّ كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان إلى أن تصب دجلة في البحر كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٢٣.

(٥٠) أتن. الأتان: الحمارة... وفي حديث ابن عباس ﷺ : جئت على حِمارٍ أتانٍ. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ٢١،

(٥١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد: (ت٥٧٩هـ / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ج٦، ص٢٤٩.

(٥٢) الدهقان، بالكسر والضم: القَوي على التَّصَرُّف مع حِدَّةٍ، والتاجر، وزَعيم فَلاحي العَجَمِ، ورئيس الإقلِيم، مُعَرَّب. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، (لبنان،بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م)،ص١١٩٨.

(٥٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٥، ص٤٠١-٤٠٢.

(٥٤) شَريعة النّهر ومَشرَعَته: حيثُ ينحدر إلى الماء منه، ومنه سُمّيت شريعة الدِّين إن شَاءَ الله تعالى لأَنَّها المَدخَل إليهِ، وَهِي الشِّرعة أَيضا. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط١، (لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٧٢٧.

(٥٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٠.

(٥٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٠٠.

(٥٧) ذنون، عبدالواحد، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط١، (لبنان، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١١٩٨٥م)، ص١٥١.

(٥٨) ابن قتيبة الدينوري، ابي محمد عبدالله بن مسلم، (٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، بلا ت، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، بلا ت)، ج١، ص١٤٤.

(٥٩) البثق: كسرك شط النهر لينشقّ الماء. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٠٨.

(٦٠) الطسوج: الناحية. ابن منظور، لسان العرب، ج٣٠، ص١٢٧٠.

(٦١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤١٣.

(٦٢) الصهاريج، وهي كالحياض يجتمع فيها الماء. ابن منظور، لسان العرب، ج٢٨، ص٢٥١٦.

(٦٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٥١٥-٥١٦.

(٦٤) ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ص١٥١.

(٦٥) العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، (العراق، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٥٣م)، ص٨٤.

(٦٦) ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ص١٨٨-١٨٩.

(٦٧) العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص٨٥.

المصادر

1. albyhqi , 'iibrahim bin muhamad , (t 458 h) , almuhasin walmasawi , bila t , bila t , (lubnan , bayrut , dar sadir , 1984 m) , s467-470.
2. nadar alshay' yundir ndwraan: saqat , waqil saqat wshda ... wa'andurah ghyrh 'ay 'asqatih. abn manzur , lisan alearab , j 49 , s 4382.
3. kaskaru: bialfath thuma alsukun , wakkaf 'ukhraa , wara' ... waqasatha alyawm bayn alkufat walbasirat , qasa qusatuha qabl 'an ymssr alhjjaj wastaan khasru sabur , wayuqal ean hd ma kurat kaskar min aljanib alsharqii fi akhir siqii alnahriwwan 'iilaa 'an tasuba dijlatan fi albsrt balkaml yaqut alhumwi , maejam albuldan , j 4 , s 523.
4. 'atn. al'atan: alhammara ... wafi hadith abn eabbas : jit ealaa himar atanin. abn manzur , lisan alearab , j 1 , 21،
5. abn aljawziu , 'abu alfaraj ebdalrhmn bin eali bin mhmd: (t 579 h / 1200 m) , almuntazam fi tarikh almuluk wal'umam , tahqiq muhamad eabdalqadr eataan ,

mustafaa eabdalqadr eataan , t 1 , (lubnan , bayrut , dar alkutub aleilmiat , 1992 m) , j 6 , s 249.

6. aldahqan , bialkasr waldamm: alqawy ealaa altasaruf mae hidat , walttajir , wzaeym falahy aleajam , warayiys al'iiqlim , muearab. alfiruzabadi , majd aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb: (t 817 h / 1414 m) , alqamus almuhit , tahqiq maktab tahqiq alturath fi muasasat alrisalat , t 8 , (lubnan , bayrut , muasasat alrisalat , 2005 m) , s 1198.
7. yaqut alhimwi , maejm albuldan , j 5 , s 401-402.
8. sharyet alnnhr wmashraeath: 'ayn (ynbue)? abn darid , 'abu bakr muhamad bin alhasan bin darid al'azdy: (t 321 h / 933 m) , jamhirat allughat , tahqiq ramzi munir biealbakiin , t 1 , (lubnan , bayrut , dar aleilm lilmalayin , 1987 m) , j 2 , s 727.
9. yaqut alhimwi , maejm albuldan , j 5 , s 350.
10. yaqut alhimwi , maejm albuldan , j 5 , s 400.
11. dhunun , eabdalwahd , aleiraq fi eahd alhujaj bin yusif althuqfii , t 1 , (lubnan , bayrut , aldaar alearabiat lilmawsueat , 11985 m) , s 151.
12. abn qatibat aldiynurii , 'abi muhamad ebdallh bin muslim , (276 h) , euyun al'akhbar , bila t , (lubnan , bayrut , dar alkutub aleilmiat , bila t) , j 1 , s 144.
13. albthq: kasrak shata alnahr lynshqa alma'. abn manzur , lisan alearab , j 3 , s 208.
14. altswj: alnnahitu. abn manzur , lisan alearab , j 30 , s 1270.
15. albladhryu , futuh albuldan , s 413.
16. alsaharij , wahi kalhiad yajtamie fiha alma'. abn manzur , lisan alearab , j 28 , s 2516.
17. albaladhiriu , futuh albuldan , sa515-516.
18. dhunun , aleiraq fi eahd alhujaj bin yusif althuqfia , s 151.
19. aleali , salih 'ahmad , altanzim alaijtimaeiu fi albsrt fi alqarn al'awal alhajarii , (aleiraq , baghdad , mutbaeat almaearif , 1953 m) , s 84.
20. dhunun , aleiraq fi eahd alhujaj bin yusif althiqfi , s 188-189.
21. aleali , altanzimat alaijtimaeiat walaiqtisadiat fi albsrt , s 85.